مدرسة الإسكندرية

دراسة عن

الثيؤطوكيات القبطية السبع (١)

القس غريغوريوس رشيدي

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الثاني - ٢٠٠٩

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٢

دراسة عن الثيؤطوكيات القبطية السبع (١)

القس الدكتور غريغوريوس رشيدي

دراسة عن الثيؤطوكيات القبطية السبع (١)

القس الدكتور غريغوريوس رشيدي
دكتوراه في العلوم اللاهوتيَّة
جامعة أرسطو - اليونان
باحث بالمركز الثقافي القبطي

مدخل الى الثيؤطوكيات السبع[1]

قبل **أن** نتكلم عن الثيؤطوكيات ومؤلفها أو مؤلفوها ومحتواها العقيدي، ومكانة العذراء الثيؤطوكوس في السبعة ثيؤطوكيات، يجب علينا أولاً أن نتكلم عن الثيؤطوكيات ومكانتها في تسابيح الكنيسة القبطية، وعن المصطلح « Θεοτόκος » « والدة الإله » وتاريخه في الكنيسة الأولى حتى تثبَّت في المجمع المسكوني الثالث المنعقد بمدينة أفسس سنة٤٣١ م، كذلك عن البناء الشعري للثيؤطوكيات والشعر القبطي عمومًا.

١. مكانة الثيؤطوكيات

الثيؤطوكيات السبع عبارة عن سبع تماجيد أو قِطَع ليتورجية خاصة بتمجيد السيدة العذراء والدة الإله، كل يوم من أيام الأسبوع له ثيؤطوكية خاصة به. تحتل الثيؤطوكيات مكانة الصدارة في كتاب الأبصلمودية، فهي تمثل مع الأربعة هوسات والإبصاليات السنوية، أهم ما يحويه كتاب الأبصلمودية القبطية. فالثيؤطوكيات تمثِّل من خلال موقعها الليتورجي في كتاب الأبصلمودية، موقع المركز بالنسبة للتسبحة اليومية، سواء تسبحة نصف الليل أو العشية، سواء في الطقس السنوي أو في تسابيح شهر كيهك. خصوصًا إذا عرفنا أن كتاب الأبصلمودية دُعي في كثير من المخطوطات

[1] سوف نبدأ بمشيئة الله سلسلة دراسات عن الثيؤطوكيات القبطية، نبدأها في هذا المقال بالكلام عن مقدمة للثيؤطوكيات ثم بعد ذلك عن الكاتب ، ثم المحتوى ، ... إلخ.

القديمة وطبعاته الأولى « كتاب الثيؤطوكيات »[٢]، دلالة على أهمية الثيؤطوكيات وموقعها المتميز في ذلك الكتاب.

أقدم الوثائق التي ذكرت الثيؤطوكيات كما هي بين أيدينا اليوم، هي الموسوعة الكنسية الشهيرة « مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة » لابن كبر (قسيس الكنيسة المعلقة). حيث أشار لها على أنها تسابيح للسيدة العذراء والدة الإله، قائلاً:

[ثم بعد ذلك تقال التاوضوكيات، (في ذلك اليوم)، وهي معروفة عند القبط المصريين، يتداولونها في كل كنائس مصر والقاهرة والوجه البحري.

وأما أهل الصعيدين فلا يقولون بها، ولا تستعمل في بلادهم، إلا نادرًا، في البعض من كنائس الصعيد الادنى.

وهذه التاوضوكيات مدائح للسيدة العذراء مشتملة على تأويل ورموز العتيقة، وتنزيل نبوات الأنبياء على الأحوال السيدية الحديثة، والاستدلال بها على حبلها، وهي عذراء، وولود رب المجد متجسدًا منها، إلى غير ذلك من المعاني.

وعمل لها الآباء المعلمون تفاسير، تتضمن تبسيط الفاظها، وشرح معانيها.

وهي تستعمل عند الرهبان لقِطَع الليل، إذا طال، ولرغبتهم في استنفاذه بالترتيل والتهليل والابتهال.

وأما في الكنائس الجامعة للعلمانين فالتوسط بهم أشبه، لئلا يعتريهم الملال، ويلحقهم العجز والكلال، ولا ينتفعون شيء من هذه الاحوال.

واجودها اقدمها ومن حدها تفسير مختصر، أوله: «مَن يقدر [أن] يقول» ⲉⲣⲉ ⲛⲓⲱⲧ ⲛⲁϣⲁϫⲱ][٣].

---

[٢] انظر على سبيل المثال طبعة الأسقف روفائيل طوخي، روما 1764 م، حيث أعطى هذه الطبعة عنوان: ⲡⲓⲁⲥⲁⲓ ⲛⲧⲉ ⲛⲓⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲓⲁ ⲛⲉⲙ ⲕⲁⲧⲁ ⲧⲁⲥⲓⲃⲛⲧⲉ ⲡⲓⲁⲃⲟⲧ ϫⲟⲓⲁⲕ « كتاب الثيؤطوكيات وترتيب شهر كيهك ».

[3] A. Wadi, *Abū al-Barakāt Ibn Kabar, Mişbāh al-Żulmah* (cap. 16: La preghiera del giorno e della notte), Studia Orientalia Christian (Offprint from *SOC-Collectanea* 35-36, 2002-2003), Cairo-Jerusalem 2003, P. 392.

ولا يكتفي ابن كبر بهذا بل هو يذكر لنا كل ثيؤطوكية بأول استيخون منها كأنه يعطينا دلاًّل للسبع ثيؤطوكيات وهي تطابق ما بين ايدينا اليوم[٤].

الثيؤطوكية تُرتَّل على مدار السنة، وحولها يدور البناء الليتورجي للتسبحة. ونظريًا تُرتَّل كل ثيؤطوكية مرتين في اليوم الواحد، مرة في تسبحة نصف الليل والأخرى في تسبحة العشية، فالثيؤطوكية تلعب أهم دور في ترتيب الصلوات، لذا تأتي دائمًا في نهاية الترتيب الليتورجي بالنسبة لليوم.

فالثيؤطوكيات تشير في داخل كتاب الأبصلمودية الى المكانة العقائدية المهمة للمصطلح « ثيؤطوكوس »، فهي الإجابة القبطية الليتورجية على كل من ينكرون الاتحاد الأقنومي بين طبيعتي السيد المسيح. من خلال الثيؤطوكيات حاول الأقباط بطريقة تقوية وبسيطة وبعيدة عن الجدل العقلي التعبير عن إيمانهم في طبيعة السيد المسيح له المجد وتجسده.

لقد استخدم كاتبوا الثيؤطوكيات كثيرًا من المصطلحات العقائدية الهامة مثل: « طبيعة »، « جوهر »، « أقنوم »، « اتحاد أقنومي »، « طبيعة واحدة » ... إلخ، دون الدخول في تفاصيل لاهوتية في شرح هذه المصطلحات. نعم لقد احتوى الكتاب على كثير من اقتباسات الآباء والرموز والتشبيهات التى تشرح التجسد وعبَّر من خلالها عن رأي وإيمان الكنيسة القبطية في هذا الموضوع، لكن دون الدخول في جدل عقائدي أو تسمية شخص أو مجمع بالاسم، فكتاب الأبصلمودية هو كتاب للعبادة والتسبيح وليس كتابًا للاهوت النظامي.

لقد أرادت الكنيسة القبطية أن تحتفظ بالمصطلح العقائدي « والدة الإله » دائمًا حيًا بين أولادها، لذا أعطت هذا اللقب عنوانًا لواحدة من أهم وأقدم القِطَع الليتورجية التي تشدو بها يوميًا في تسابيحها نحو عريسها

[٤] مما هو جدير بالذكر أن الأب وديع في عمله السابق الذكر أعتمد على ثلاثة مخطوطات لتحقيق ونشر ذلك الفصل، وهذه المخطوطات هي: الأولى المخطوطة ٢٠٣ عربي من المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، والثانية المخطوطة من أوبسالا Upsala (السويد) شرقي، فهرس رقم ٤٨٦ (قديم .vet ١٢)، والثالثة المخطوطة ٦٢٣ عربي من المكتبة الرسولية بالفاتيكان، وللإيضاح لابدأن أسجل أن هذا الدلأل ورد في مخطوطتي أوبسالا والفاتيكان فقط ولم يرد في المخطوط الباريسي، راجع: المرجع السابق ٤٠٣-٤٠٥ .

السماوي، أي الثيؤطوكيات. لكي من خلال التسبيح اليومي بهذه القِطَع يبقى معنى المصطلح والإيمان به، وبالعذراء الثيوطوكوس دائمًا حاضرًا في أذهان المؤمنين. فهذا اللقب أو العنوان للقِطَع وإن كان يخص السيدة العذراء، ولكن محتوى الثيؤطوكيات يدور حول شرح معنى التجسد الإلهي وعقيدة الخريستولوجي، فهذيْن الموضوعيْن هما مركز الثيؤطوكيات السبع، وبهذا أصبح واضحًا الهدف الذي تريد الكنيسة القبطية أن تؤكِّده، أن السيدة العذراء هي الثيؤطوكوس لأنها ولدت الله الكلمة المتجسد، وهي (الكنيسة القبطية) بهذا تدافع عن إيمان الكنيسة الجامعة.

٢. معنى المصطلح ثيؤطوكوس

المصطلح القبطي (البحيري) **ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲓⲁ**، وبالعربية ثيؤطوكية، هو من الكلمة اليونانية « Θεοτόκος » بمعنى « والدة الإله »، ومنها جاء التعبير اليوناني « Θεοτόκον ». فالثيؤطوكية هي قطعة لتمجيد والدة الإله العذراء القديسة مريم سواء وردت هذه القطعة في كتاب الأبصلمودية أو في أي كتاب ليتورجي آخر.

صحيح أن المصطلح « Θεοτόκος » بشكله هذا لم يرد في العهد الجديد ولا مرة، ولكننا في العهد الجديد نجد أن السيدة العذراء قد دُعيَّت « أم يسوع » (يوحنا ٢:٣)، « أم الرب » (لوقا ١:٤٣) وأحيانًا لا يذكر العهد الجديد اسم العذراء مريم وإنما يتكلم عنها دون أن يذكر اسمها[٥]. ودائمًا ما ارتبط اسم السيدة العذراء باسم ابنها الحبيب: « مريم أمه » (مت ١:١٨)، « الصبي وأمه » (مت ٢: ١٣، ١٤)[٦]. فلا فرق بين يسوع (الكلمة) والله، لأن الكتاب المقدس يستخدم ألقابًا متعددة وكلها تشير إلى يسوع المسيح كلمة الله المتجسد.

---

[٥] انظر متى ١:٢٤ ؛ غلاطية ٤:٤ ؛ لوقا ٢: ٣٣، ٤٣، ٤٨، ٥١ ؛ يوحنا ١٩: ٢٥-٢٧.

[٦] «أمه» متى ١٢:٤٦ ، «أمك» متى ٢:٤٧ ، «ابن مريم» متى ٦:٣ ، لوقا ٢:٥ ؛ ٦:٣٤ ؛ ٨:١٩،٢٠.

فمن المعروف تاريخيًا أن المصطلح « Θεοτόκος » كان محور مناقشات المجمع المسكوني الثالث بأفسس سنة ٤٣١ م. وبالرغم من أن هذا المصطلح قد تثبَّت فى القرن الخامس من خلال المجمع المسكوني، إلا أن استخدامه بواسطة آباء وعلماء كنيسة الإسكندرية كان مؤكَّدًا قبل ذلك بكثير[٧].

فالعلامة اوريجانوس (†٢٣٥) قد استخدمه في تفسيره لرسالة رومية (١:١٣)[٨]، ونجد هذا المصطلح أيضًا عند هيبوليتس (†٢٣٦)[٩]، وعند القديس بطرس الأول البابا الإسكندري الـ ١٧ (†٣٠٠)[١٠]، والبابا الكسندروس الـ١٩ (†٣٢٨)[١١]، والبابا أثناسيوس الرسولي (†٣٢٨-٣٧٣)[١٢]. كذلك لم يكن هذا المصطلح معروفًا فقط عند آباء مدرسة الإسكندرية الأولين، بل أيضًا عند آباء الكنائس الأخرى، فعلى سبيل المثال نجد هذا المصطلح مستخدمًا في كتابات القديس غريغوريوس النيزينزي (†٣٩٠)[١٣]. كما استخدمه أيضًا كلاً من القديسين كيرلس الأورشليمي وباسيلوس الكبير وغريغوريوس النيصي واللاهوتي وبروكلوس بطريرك القسطنطينية[١٤].

---

[7] Straroweijski, "*Le Titre Θεοτόκος Avant le Concile D'Ephese*", *Studia Pattistica 12*, 1989, pp. 236-242.

[8] Τὴν ἤδη μεμνηστευμένην γυναῖκα καλεῖ· οὕτω καὶ ἐπὶ τοῦ Ἰωσήφ καὶ τῆς Θεοτόκου ἐλέχθη. PG 12, 813C. المؤرخ الكنسي سقراط يعطي لنا شهادة أخري على أن اوريجانوس قد استخدم هذا المصطلح, καὶ Ωριγένης δέ ἐν τῷ πρώτω τόμω τῶν εἰς τήν πρός Ρωμαίους τοῦ Αποστόλου ἐπιστολήν, ἑρμηνεύων πῶς θεοτόκος λέγεται, πλατέως ἐξήτασε. Sokrates, Historia Ecclesiastica-LIB 7, 32, PG 67, 812B.

[9] ἐνταῦθα Ἰωσὴφ τὴν Μαρίαν μνηστεύσεαι καὶ μάρτυς ἀληθινός τῆς Θεοτόκου γίνεται, Hipp. Ben. Jac. I (P.13.7), Lampe, S. 639. حسب ان هيبوليتس الروماني هو اول من استخدم هذا المصطلح عن السيدة العذراء انظر: Hugo Rahner, *Hippolyt von Rom als Zeuge für den Ausdruck θεοτόκος*, in: "Zeitschrift für katholische Theotlogie 59", 1935, 73-81.

[10] ,… ὁ Κύριος ἡμῶν, καὶ Θεὸς Ἰησοῦς ὁ Χριστὸς …. κατὰ σάρκα τεχθεὶς ἐκ τῆς ἁγίας ἐνδόξου δεσποίνης ἡμῶν θεοτόκου καὶ Ἀειπαρθένου, …. Fragmenta, PG 18, 517B

[11] ,… ὁ Κύριος ἡμῶν Ἰησοῦς Χριστὸς, σῶμα φορέσας ἀληθῶς … ἐκ τῆς θεοτόκου Μαρίας. Epistolae XII, PG 18, 568C.

[12] … ὁ Γαβριήλ, καὶ ἐπί τῆς θεοτόκου Μαρίας...ὡμολόγησε. Oratio III Contra Arianos, PG 26, 349C.

[13] Ἐΐ τις οὐ Θεοτόκον τὴν ἁγίαν Μαρίαν ὑπολαμβάνει, χωρίς ἐστὶ τῆς θεότητος. Epistolae 101, PG 37.177C.

[14] Gregorios von Nazianz (†390) Ἐΐ τις οὐ Θεοτόκον τὴν ἁγίαν Μαρίαν ὑπολαμβάνει, χωρίς ἐστὶ τῆς θεότητος. Epistolae 101, PG 37.177C. Ex Origene, Selecta in Deuteron: οὕτω καὶ ἐπὶ τοῦ Ἰωσήφ καί τῆς Θεοτόκου ἐλέχθη. PG 12,813C.,

لقد ورد مصطلح « Θεοτόκος » فقط في وثائق مجمع أفسس حوالي ١٧٧ مرة، سواء بصورة واضحة أو بصورة ضمنية، ويُعد القديس كيرلس الكبير البابا الإسكندرى الـ ٢٤ أكثر من استخدم هذا المصطلح وشرحه[١٥].

وهذا يعني بصورة قاطعة أن هذا المصطلح قد اُستخدِم من قِبَل آباء الكنيسة قبل مجمع أفسس بفترة طويلة. فلم يكن مجمع أفسس أو القديس كيرلس الإسكندري هما أول من لقَّب العذراء القديسة مريم بوالدة الإله « Θεοτόκος »، بل لقد استخدمه كثير من آباء الكنيسة قبل وبعد مجمع أفسس كما سبق وأشرت.

بالإضافة إلى كل هذه الشهادات، عندنا شهادة مهمة من مصر من القرن (الثالث أو الرابع) الميلادي أي بنحو ٢٠٠ سنة قبل مجمع أفسس (٤٣١م) عن استخدام المصطلح « ثيؤطوكوس »، فهناك صلاة أو قطعة ليتورجية تحمل هذا العنوان « ثيؤطوكوس »، و نص هذه الصلاة هو:

« تحت حراسة رحمتك نهرب، يا والدة الإله. لا تهملي صلواتنا عندما نكون في ضيق، لكن خلصينا من الخطر، أيتها الوحيدة الطاهرة، المباركة في النساء »[١٦].

ونلاحظ أن هذه الطلبة مازالت مستخدمة في كنائس الشرق والغرب حتى اليوم سواء بنصها أو بمعناها[١٧]. كذلك فإننا نجد هذا اللقب قبل ذلك في قانون الإيمان الرسولي وكذلك في تقليد الكنيسة القديم أن الابن الأزلي الذي من الآب، وُلد في الزمان حسب الجسد من العذراء مريم، التي يجب لذلك أن تُدعَى حقًا والدة الإله « Θεοτόκος »[١٨]. هنا يكون من الخطأ أن يدَّعي شخص أن مجمع أفسس هو الذي أوجد لقب « ثيؤطوكوس »، أو أنه

---

[15] Mari Leena Peltomaa, *The Image of the Virgin Mary in the Akathistos hymn* (The Medieval Mediterranean 35). Leiden/Boston 2001, P. 104f

[16] Klauser, Gottesgebärerin, S. 1078..

[17] Klaus Gamber/Corista Schaffer, *Maria-Ekklesia, Die Gottesmutter im theologischen Verständnis und in den Bildern der frühen Kirche*. [Eikona 4/Beiheft zu den Studia Patristica et Liturgica; 19]. Regensburg 1987, p.18f.

[18] Alois Grillmeier, *Jesus der Christus im Glauben der Kirche*, Band 2/4: Die Kirche von Alexandrien mit Nubien und Äthiopien nach 451, Freiburg 1990, p. 689.

أول من لقَّب العذراء بذلك، وإنما نستطيع أن نقول أن المجمع المسكوني الثالث هو الذي ثبَّت هذا اللقب[١٩]، وبذا يكون قد ثبَّت لقبًا كان مستخدمًا في الكنيسة الجامعة ألا وهو لقب « Θεοτόκος » « والدة الإله ». بل والأكثر من ذلك، يُظن أن المصطلح « Θεοτόκος » كلقب تكريم للسيدة العذراء قد نشأ في الإسكندرية في العشر سنوات الأخيرة من القرن الأول الميلادي[٢٠].

ولقد كان استخدام هذا اللقب ذو أهمية خاصة بالنسبة للقديس كيرلس الإسكندري في مناقشته لنسطور. ومن أهم أقوال للقديس كيرلس التي توضِّح لنا مدى حرصه على هذا اللقب للسيدة العذراء ما ورد في رسالته ١٧ وهي الثالثة إلى نسطور وفيها يقول:

Ep. 17 (PG 77, 120C): Εἴ τις οὐχ ὁμολογεῖ Θεὸν εἶναι κατὰ ἀλήθειαν τὸν Εμμανουὴλ καὶ διὰ τοῦτο θεοτόκος τὴν ἁγίαν παρθένον (γεγέννηκε γὰρ σαρκικῶς σάρκα γεγονότα τὸν ἐκ θεοῦ λὸγον), ἀνάθεμα ἔστω [21].

[من لا يعترف أن عمانوئيل هو الله بالحقيقة، وبسبب هذا فالعذراء هي والدة الإله، (لأنها ولدت جسديًا الكلمة الذي من الله، الذي تجسد) فليكن محرومًا] [٢٢].

وهنا يجدر بنا أن نقول أيضًا أن هذا اللقب للقديسة العذراء مريم « Θεοτόκος » قد تثبت بعد ذلك كتعبير يفرق بين المؤمنين والهراطقة[٢٣].

---

[19] Klaus Gamber/Corista Schaffer, *Maria-Ekklesia*, p. 18.

[20] Paul-Bernd, *Maria Theotokos*, pp. 22, 23; Peltomaa, *The Image of the Virgin Mary*, 104f. Klauser, *Gottesgebärerin*, pp. 1071-1103.

[٢١] انظر هذا المصطلح أيضًا عند القديس كيرلس PG. 69, 1117B; 76, 277B

[٢٢] رسائل القديس كيرلس الى نسطور ويوحنا الانطاكي، للقديس كيرلس الاسكندري، مركز دراسات الآباء، نصوص الآباء ٢١، يوليو ١٩٨٨، ص ٣٥.

[٢٣] للمزيد عن تاريخ اللقب واستخدام آباء الكنيسة له انظر على سبيل المثال:

Alfred Adam, *Lehrbuch der Dogmengeschichte I*. Die Zeit der Alten Kirche (Gütersloher Verlagshaus Gerd Mohn: Gütersloh 1965. [5]1985/Evangelische Verlagsanstalt: Berlin 1973), pp. 325ff; Paul Imhof-Bernd Lorenz, *Maria Theotokos bei Cyrill von Alexandrien*, München 1981, pp. 23, 24; Theotokos in: *The Oxford Dictionary of Byzantium*, Alexander P. kazdahn, Vol. 3. Nike-Zygo, New York [u.a.]: Oxford Univ. Press, 1991, p. 2070; *A Patristic Greek Lexicon* edited by G[eoffrey] W[illiam] H[ugo] Lampe (Oxford University Press, Oxford 1961. [16]2001), P. 639-641; Jacob Muyser, *Maria`s Heerlijkheid in Egypte, Een studie der koptische Maria-literatuur*, Deel I, Leuven 1935, p. 30ff; Peltomaa, *The Image of the Virgin Mary*, p. 104f.; Klauser Theodor, *Gottesgebärerin*. In: RAC, Bd. XI, Stuttgart 1981, pp. 1071-1103.

فالسيد المسيح هو الله الكلمة المتجسد، لذا دُعيَّت أمه والدة الإله، فالكنيسة في الشرق والغرب تكرِّم العذراء لانها ولدت الكلمة المتجسد، فهى إذن والدة الإله[٢٤].

الكنيسة الجامعة قد عبَّرت عن إيمانها في العذراء الثيؤطوكوس من خلال التسابيح، كما عبَّرت عن ذلك في مناسبات ليتورجية أخرى مثل قِطَع السواعي في الأجبية، وقِطَع عيد الميلاد المجيد ... إلخ. وبعد مجمع أفسس ٤٣١م نشط آباء الكنيسة بالأكثر في تأليف هذه التسابيح ودعوها بهذا الاسم. منذ ذلك الحين بقيت الثيؤطوكيات أقوى مصطلح ليتورجي للتعبير عن إيمان الكنيسة في العذراء الثيؤطوكوس.

أما الكنيسة القبطية فقد عبَّرت عن إيمانها في العذراء الثيؤطوكوس بوسيلة أشد وأكثر وضوحًا من خلال هذه الثيؤطوكيات السبع، ومؤخرًا في تسابيح شهر كيهك. فالثيؤطوكيات تمثِّل أقوى تعبير عن إيمان الكنيسة القبطية في العذراء مريم على أنها « والدة الإله »، وكذلك فإن كتاب « الأبصلمودية » يمثِّل كتاب من أقدم وأهم الكتب الليتورجية القبطية التي توضِّح وتشرح العقيدة الخريستولوجية وتؤكِّد على مفهوم العذراء الثيؤطوكوس مع شرح ألقابها.

٣. مصطلح « Θεοτόκος » في الثيؤطوكيات السبع:

أما عن المصطلح اليوناني « Θεοτόκος » فهو يأتي في الأبصلمودية القبطية في ثلاثة صور مختلفة:

أ. في صورته اليونانية « Θεοτόκος » « والدة الإله »، انظر على سبيل المثال مرد الجزء الأول من القطعة الأولى والربع الثامن عشر من القطعة الثامنة من ثيؤطوكية الأحد؛

[24] Paul-Bernd, *Maria Theotokos*, p. 9.

ب. الصورة الثانية هي بالقبطية ⲧⲙⲁⲁⲥⲛⲟⲩⲧ وتعني حرفيًا «والدة الإله»، انظر على سبيل المثال، الربع الأول من القطعة الرابعة والربع الأول من القطعة الثالثة من ثيؤطوكية يوم الثلاثاء؛

ج. الصورة الثالثة هي ⲑⲙⲁⲩ ⲙ̀ⲫⲛⲟⲩⲧ « أم اللّه »، انظر على سبيل المثال الربع الأول من القطعة الأولى من ثيؤطوكية الجمعة.

لابد أن نذكر أن هناك ألقاب أخرى قد وردت في الثيؤطوكيات توضِّح العلاقة بين السيد المسيح والسيدة العذراء، منها: ⲑⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲓⲏⲥ ⲡⲭⲥ « أم يسوع المسيح »، ⲑⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲅⲙⲁⲛⲟⲩⲏⲗ « أم عمانوئيل »، ⲑⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲡⲓⲟⲥ ⲑⲉⲟⲥ و ⲙ̀ⲡⲓⲁⲉⲥⲡⲟⲧⲁ « أم السيد » و ⲑⲙⲁⲩ ⲛ̀ⲧⲓⲟⲥ ⲑⲉⲟⲥ « أم ابن اللّه ». علمًا بأن كلمة ⲑⲉⲟⲧⲟⲕⲓⲁ تُستخدَم في القبطية كاسم مفرد مؤنث.

٤. موضوع الثيؤطوكيات

لقد حاول الأقباط من خلال الثيؤطوكيات السبع التعبير عن إيمانهم تجاه موضوع طبيعة الإله المتجسد من العذراء والدة الإله، أي ما عُرف فيما بعد باسم « علم الخريستولوجي ». وقد كتبوها كذلك للتعبير عن تقواهم الفطري، وعن مكانة العذراء الثيؤطوكوس عندهم. فلقد استخدم كاتبوا الثيؤطوكيات رموز ونبوات العهد القديم وطابقوها على شخصية السيدة العذراء الفريدة.

فالثيؤطوكيات لها هدفين محددين، هما: شرح تجسد السيد المسيح وخلاصه للبشرية، وهما صُلْب ومحور نصوص الثيؤطوكيات السبع[٢٥]، وتأكيد أن السيدة العذراء هي والدة الإله الدائمة البتولية αειπαρθενος ⲧⲡⲁⲣⲑⲉⲛⲟⲥ ⲛ̀ⲥⲛⲟⲩ ⲛⲓⲃⲉⲛ. فكل تمجيد موجَّه للعذراء مريم، هو في واقع الأمر موجَّه لشخص ابنها الحبيب السيد المسيح له المجد، فتمجيد العذراء يعني في الأساس، تمجيد سر التجسد الإلهي.

[25] Anton Baumstark, *Die christlichen Literaturen des Orients, I*: Einleitung. Das christlich aramäische und das koptische Schrifttum, Das christlich-arabische und das äthiopische Schrifttum, I und II, Leipzig 1911, p. 128f.

لذا فالموضوع المهم والأساسي بالنسبة للثيؤطوكيات والتي تظهره كل ثيؤطوكية بمنتهى الوضوح هو موضوع تجسد ربنا يسوع المسيح وظهوره بيننا في الجسد. الثيؤطوكيات تجيب على الأسئلة الخاصة بالتجسد، مثل: لماذا وكيف تم التجسد الإلهي؟ لكن دون الدخول في شرح عقائدي أو جدل لاهوتي، فهي تعرض التجسد بروح التقوى القبطية المعروفة وبساطتها، وحتى عندما تستخدم المصطلحات اللاهوتية مثل: مساوي ομοουσιος **ομοουσιος**، طبيعة φυσις **φυσις** ، شخص πρόσωπον **προσοπον** وأقنوم ὑπόστασις **υποστασις** لا تعطينا شرحًا لاهوتيًا لكل مصطلح، بل تستخدمه في مكانه الصحيح دون الدخول في تحديدات لاهوتية[٢٦].

الموضوع الآخر الذي تعرض له الثيؤطوكيات بوضوح شديد هو الماريولوجي (وهو العلم الخاص بالدراسات التي تخص السيدة العذراء) الخاص بالكنيسة القبطية، فالثيؤطوكيات القبطية هي خير معبِّر أيضًا عن الماريولوجي وكيفية ارتباطها بالخريستولوجي. فالكنيسة القبطية تكرِّم السيدة العذراء لقداستها وطهارتها، فهي قد فاقت جميع القديسين والملائكة ورؤساء الملائكة والأنبياء ولكنها تكرمها بالأكثر لأنها والدة الإله.

الثيؤطوكيات في هذا الموضوع لا تأخذ منهجًا لاهوتيًا جدليًا ـ كما قلت سابقا ـ ولكنها تأخذ منهجًا كتابيًا. فهي تستخدم نصوص وتشبيهات ورموز من العهد القديم وتطابق بينها وبين السيدة العذراء وبين سر التجسد، وهي في هذا تفهم العهد القديم وتستخدمه كما استخدمته الكنيسة الأولى وكما فهمه آباء الكنيسة الاوائل.

لقد استخدم آباء الكنيسة القبطية الثيؤطوكيات المرتلة لكي تثبِّت في أذهان المؤمنين عقيدتها في طبيعة المسيح وكذلك تجاه العذراء الثيؤطوكس، فكل تمجيد وتأكيد ودفاع عن العذراء الثيؤطوكوس هو تسبيح وتمجيد لسر التجسد الإلهي. ونحن نعلم أثر الكلام المرتل في الوصول الى البسطاء من الشعب وتقريب المفاهيم لهم.

---

[٢٦] سوف يأتي الكلام لاحقًا عن الخريستولوجي في الثيؤطوكيات السبع.

٥. شكل الثيؤطوكيات

الشعر القبطي في معظمه شعر ديني، اطاره الحياة الكنسية وسيَّر القديسين ويلعب دورًا مهمًا في تقوية الحماس الديني عند المؤمنين في أعياد القديسين.

والشعر القبطي لا يُلقَى وإنما يُرتَّل ويُنشَد، لذا يمكن دائمًا تلافي اختلاف الإيقاع بين الاستيخونات المختلفة في الربع الواحد إذا اختلفت أعداد المقاطع المنبورة من شطرة لأخرى، ففي النهاية يستطيع المرتل أن يضبط إيقاع القطعة ويجعلها متماثلة.

أما عناصر الشعر القبطي فهي دائمًا ما تكون كتابية من الكتاب بعهديه، فقصص وحوادث وشخصيات الكتاب المقدس، خصوصًا ما يخص حياة السيد المسيح، تُصاغ في قالب شعري و تُرتَّل وهذا يَرِد بكثرة وهو يعتبر أهم عناصر الشعر القبطي، والعنصر الآخر هو سيَّر القديسين والشهداء[٢٧].

كذلك الشعر القبطي ليس له بحر وإنما له إيقاع ثابت. فإننا نجد أن الشعر القبطي الوارد في المخطوطات من القرن التاسع أو العاشر لا يوجد به قافية وليس موزونًا. فالشعر القبطي عرف طريقه إلى القافية متأخرًا نوعًا ما، منذ القرن الرابع عشر الميلادي تقريبًا متأثرًا في ذلك بنظام القوافي في الشعر العربي، وهذا ما نلاحظه بوضوح في معظم إبصاليات شهر كيهك وقِطَع الرومي والمعقب ومديحة آربصالين[٢٨].

وفي كل ربع يوجد عدد محدد من المقاطع المنبورة، هذه المقاطع عادةً ما تكون أربعة، وقليلاً ما تكون خمسة ونادرًا ما تكون ثلاثة.

إذن، التسابيح والصلوات القبطية باستثناء القداس الإلهي تحتوي على الكثير من القِطَع الشعرية، مثل الثيؤطوكيات، الإبصاليات

---

[27] Kuhn, Poetry". In *Coptic Encyclopedia*, Vol. 7, New York 1991, p. 1985f; Baumstark, *Die christlichen Literaturen*, Bd. I, pp. 126- 129.

[28] Adolf Grohmann, *Äthiopische Marienhymnen übersetzt und erläutert*, herausgegeben: (Abhandlungen der philologisch-historischen Klasse der Sächsischen Akademie der Wissenschaften 33,4;) Leipzig 1919, p. 46.

والذوكصولوجيات، هذا إلى جانب المدائح والتراتيل الحديثة العهد، خصوصًا تسابيح شهر كيهك.

أما عن الثيؤطوكيات كقِطَع شعرية ليتورجية، فشأنها شأن معظم القِطَع الليتورجية القبطية القديمة، فهي غير مقفاه وغير موزونة شعريًا وليست مرتبة على الحروف الأبجدية مثل بعض الإبصاليات الأحدث عهدًا، بل وزنها يعتمد على المقاطع المنبورة وهذه خاصية موجودة في كل القِطَع الليتورجية القديمة[٢٩].

والثيؤطوكية نجدها مقسمة إلى قِطَع ، والقِطَع إلى أرباع وكل رُبع عبارة عن أربعة استيخونات، أي شطرات، ونادرًا ما تكون خمسة شطرات، (انظر على سبيل المثال ثيؤطوكية السبت القطعة الرابعة، الربع الثاني والقطعة السادسة، الربع الخامس من نفس الثيؤطوكية). هناك أيضًا فرق في البناء الشعري بين الثيؤطوكيات الآدام والواطس، فالواطس دائمًا أطول من الآدام ودائمًا ما تنتهي كل قطعة من قِطَع الثيؤطوكيات بمرد ثابت يتكرر في كل القِطَع. أحيانًا تأتي الأرباع علي طريقة رمز في الربع الأول ثم شرحه في الربع الثاني كما في الستة قِطَع الأولى من ثيؤطوكية الاحد[٣٠] « أم عمانوئيل ».

إذن، لا نستطيع أن نتكلم عن بحور في الشعر القبطي عمومًا وبالتالي لا نستطيع أن نتكلم عن بحور أو قافية أو وزن في الثيؤطوكيات كما قلنا سابقًا. ولكن هناك استثناء في الثيؤطوكيات السبع، وذلك في القطعة الثامنة من ثيؤطوكية الأحد. الأرباع من ٢ إلى١٠ فإن لهم وزن وقافية، فينتهي الاستيخون الأول والثاني نهاية واحدة والاستيخون الثالث والرابع نهاية واحدة، مع وجود مرد ثابت في بداية الربع « ⲭⲉⲣⲉ ⲛⲉ ⲙⲁⲣⲓⲁ ». وهكذا نرى أن الثيؤطوكيات تنتمي إلى النوع الأول القديم من الشعر القبطي غير الموزون وغير

[29]Junker, Hermann, Koptische *Poesie des 10. Jahrhunderts I. Einleitung, II. Text und Übersetzung.* Berlin 1908-11. Nachdruck Hildesheim/New York 1977, pp. 29,30, 71, 73; Grohmann, *Äthiopische Marienhymnen*, pp. 36, 37; Baumstark, *Die christlichen Literaturen*, 128f

[٣٠] قارن الثيؤطوكيات السبع في كتاب الأبصلمودية السنوية.

المقفى والذي لا يتبع بحور الشعر المتأخرة والحديثة وإنما يعتمد على الأرباع المنبورة[٣١].

ترتيل الأبصلمودية

الثيؤطوكيات السبع في العادة لها نغمتيْن ثابتتيْن طوال العام، الأولى آدام والثانية واطس. فأيام الأحد والاثنين والثلاثاء نغمتها آدام، والأيام من الأربعاء إلى السبت لها نغمة واطس. الآدام (آدم) من أول كلمة من الربع الأول في ثيؤطوكية الاثنين « ⲁⲇⲁⲙ ⲉⲧⲓ ⲉϥⲟⲓ ⲛⲉⲙⲙⲁⲇⲛⲏⲧ » والواطس (عليقة) من أول كلمة من ثيؤطوكية الخميس « ⲡⲓⲃⲁⲧⲟⲥ ⲉⲧⲁⲙⲱⲧⲥⲛⲥ ». وفي العادة نغمة الواطس أطول من الآدام لأن الربع في الواطس أطول من الآدام. أما اللبش فله نغمة مختلفة عن الثيؤطوكية سواء كانت آدام أو واطس[٣٢].

والثيؤطوكيات تُرتَّل في صفيْن، قبلي وبحري ونجد أنه دائمًا في الأبصلموديات المطبوعة يوجد الحرف (ق) في بدايات الأرباع القبلية كمصطلح ليتورجي يحدد بداياتها، أما الأرباع البحرية فلا يوجد أمامها أي علامة. وتكون المرابعة إما بين خورسيْن أو بين الأب الأسقف (في حالة وجوده) والخورس كما في بعض الأديرة.

بقى أن أقول أن الثيؤطوكيات بشكلها الحالي لا يوجد ما يشابهها لدى الكنائس الأخرى من حيث البناء والاستخدام الليتورجي، نعم يوجد عند كل الكنائس الرسولية القديمة، قِطَع ليتورجية تُستخدَم لمدح السيدة العذراء،

---

[٣١] للمزيد من الدراسة عن الشعر القبطي، انظر

Junker, *Koptische Poesie des 10. Jahrhunderts I. Einleitung, II. Text und Übersetzung. Berlin 1908-11*. Nachdruck Hildesheim/New York 1977; Adolf Grohmann, *Äthiopische Marienhymnen, übersetzt und erläutert*, herausgegeben (Abhandlungen der philologisch-historischen Klasse der Sächsischen Akademie der Wissenschaften 33,4;) Leipzig 1919; Kuhn, Poetry, *Coptic Encyclopedia*, Vol. 7, New York 1991; Anton Baumstark, *Die christlichen Literaturen*. Maria Cramer, *koptische Liturgien, Eine Auswahl*, Sophia Bd. 11, Trier 1973; Graf Georg, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur I-V* (Studi e Testi) Roma 1944-1953/ebd. 1964-1966. Graz 1959-60. Roma 1975-1977. Bd. IV, pp. 124ff.

[٣٢] لشرح كل المصطلحات الخاصة بكتاب الأبصلمودية انظر

Magdi Rashidi Beshai Awad, *Untersuchungen zur koptischen Psalmodie, Christlogische und Liturgische Aspekte.* In: Tamcke, Martin (Hg.). Studien zur Orientalischen Kirchengeschichte, 41. Münster u.a. 2007.

فمثلاً الثيؤطوكيات القبطية تشبه في الكنيسة الغربية من حيث دورها الوظيفي *Parvum Officium B. V. Mariae* [٣٣]. ويوجد أيضًا تسابيح للسيدة العذراء في الكنيسة اليونانية والسريانية والأرمنية، ولكنها من حيث البناء الشعري والاستخدام الليتورجي لا تتطابق مع الثيؤطوكيات السبع القبطية.

(يُتبع)

[33] O´Leary, *The Coptic Theotokia*, p. IV.